ملخص محاضرات مدخل إلى علم الآثار

السداسي الأول: سنة أولى جذع مشترك علوم إنسانية 2023/2022

الـبـرنـامـج

1- مدخل الى علم الآثار والتنقيب

أ- تعريف علم الآثار

ب- نشأة علم الآثار

ج- مجالات علم الأثار وميادينه

د- فروع واختصاصات علم الآثار

هـ- العلوم المساعدة لعلم الآثار

و- مفهوم التنقيب الثري

ز- اهداف التنقيب الثري

ح- عوامل اندثار المباني وتشكل المواقع الأثرية

2- المسح الاثري وأساليب الكشف عن الآثار

أ- تعريف المسح الأثري:

ب- أهمية المسح الاثري:

ت- متطلبات المسح الثري:

ج- منهج المسح الأثري:

المحاضرة الأولى

أ- تعريفات عامة:

علم الآثار ترجمة لكلمة اركيولوجيا، المأخوذة من اللغة اليونانية، وهي مشكلة من كلمتين اركيو: ARCHEO ومعناها قديم، ولوجوس: LOGOS ومعناها علم.

اما كلمة اركيولوج فقد كان ظهورها في القرن الأول ميلادي، وكانت تطلق عند اليونان على فئة من ممثلي الدراما الذين يمثلون الأساطير القديمة على المسرح، غير انه سرعان ما اختفى هذا المعنى بصورة نهائية، والغريب في الأمر ان كلمة اركيولوجية او اركيولوج غير معروفة لا في اللغة اللاتينية ولا في أي لغة اخرى، وانما تم اقتباسها من اليونانية.

وبعد اليونان عادت الكلمة الى الظهور عند الرومان من جديد، وكان ذلك خلال القرن الأول ميلادي، عندما ألف المؤرخ دنيس داليكارنس"DENYS D'HALICARNASSE" في عهد الإمبراطور اغسطس كتابا سماه: الأركيولوجيا الرومانية، والذي تناول فيه حروب روما مع قرطاجة.

ومنذ ذلك العهد انقطعت كلمة اركيولوجيا، ولم تعاود الظهور الا في القرن 17 على يد الرحالة الفرنسي جاك سبون: JAQUE SPON ولكنه كان يخلط بين اركيولوجيا واركيوغرافيا، وفي الأخير استقر المعنى على اركيولوجيا وانتشرت في كل اللغات.

تعريف علم الآثار في معجم لسان العرب لابن منظور: الأثر: بقية الشيء والجمع آثار وأثر وخرجت في أثره وائتثرته وتأثّرته أي تتبعت أثره، ويقال آثر كذا وكذا بكذا أي أتبعه إياه... والأثر بالتحريك ما بقي من رسم الشيء، والتأثير: إبقاء الأثر في الشيء، وأثّر في الشيء: ترك فيه أثرا، والآثار: الأعلام والأثيرة من الدواب: العظيمة الأثر في الأرض بخفها أو بحافرها والأثر: الأجلّ، وسمي به لأنه يتبع العمر.

تعريف علم الآثار في معجم تاج العروس: الأثر: جمع آثار وأثور والأثر: الخبر وجمعه الآثار وقيل الخبر: ما كان عن النبي ﷺ، والأثر ما يروى عن الصحابة، ويقال خرج فلان في إثره وأثره، وقيل الأثر ما يؤثره الرجل بقدمه في الأرض، ويقال: جئتك على أثر فلان وكأنك تطأ أثره، والأثر: أثر الجراح الذي يبقى بعد البرء.

تعريف علم الآثار في معجم الوسيط: الآثار: جمع أثر، والأثر معناه العلامة، وأثر الشيء بقيته، والأثر ما خلفه السابقون، والأثر: الخبر المروي والسنة الباقية، والأثرة: المكرمة المتوارثة، والأثري من الأشياء: القديم المأثور، والأثري: المشتغل بالآثار، والمأثور: ما ورث الخلف عن السلف.

المحاضرة الثانية

نشأة علم الآثار:

لقد سبق الاهتمام بالآثار وجمعها ظهور مصطلح اركيولوجيا، حيث يعد الملك البابلي نابونيد في القرن 6ق.م اول من اهتم بجمع الآثار والتحف القديمة، كما يعد هوميروس الذي عاش خلل القرن 5ق.م اب علم الآثار واول من ضمن كتاباته معطيات ووصف جد هام لمعالم اثرية، ثم زاد الاهتمام بالآثار خاصة عند المؤرخين، مثل الكاتب بلينوس في القرن الأول ميلادي، وديدور الصقلي، واسترابون، وفيترو فيوس (ق 1م).

ولم يقتصر الاهتمام بالآثار على الكتاب فقط بل حتى الملوك والأباطرة، وقد سبق وان ذكرنا الملك نابونيد، ومنهم ايضا قيصر يوليوس الذي يقول فيه استرابون بانه كان مولع بجمع التحف القديمة خاصة الأحجار الكريمة المنقوشة، كما يعد هادريان ايضا من المهتمين بالآثار القديمة، ويذكر بانه قام بتجديد وتزيين منشآت معمارية كبرى اغريقية، وبنى في قصره مدرسة واكاديمية ورواقا لحفظ الرسوم، واول من أنشأ متحفا للهندسة المعمارية ومتحفا للنحت.

اما في العصر الإسلامي فان الاهتمام بقي مستمرا سواء عند الكتاب او الأمراء والسلاطين، فأما الكتاب فان الكثير منهم –خاصة الرحالة والجغرافيين– من جاءت نصوصه مطعمة بأوصاف لمعالم اثرية واطلال مدن قديمة واوصاف دقيقة لمنشآت معمارية، ومن أولئك الكتاب الإدريسي والمقريزي والمقديسي والبكري، ومن الكتاب من دعى الى حفظ الآثار وصيانتها، كابن خلدون وعبد اللطيف البغدادي، باعتبارها من تراث الأمة.

اما الحكام فقد عمدوا إلى جلب وجمع البقايا الأثرية القديمة واعادة استعمالها في بناء منشآتهم الجديدة وتزيينها كالأعمدة والتيجان، وأحيانا احتفظوا بعمائر واعادوا استعمالها دون تهديمها، وأحيانا اخرى لم يتعرضوا لمعالم أثرية لتصل إلينا سالمة من أي تخريب.

ويدل هذا الاهتمام على الإحساس الكبير بقيمة تلك الآثار سواء الجمالية او التاريخية عند القدماء، غير انه لم يرق ذلك الاهتمام الى دراسة هذه الآثار والتنقيب عنها، حتى الكتاب آنذاك لم يقدموا سوى اوصاف لها لا غير.

ويبدوا أن الاهتمام الصريح بدراسة الآثار كان في إيطاليا، خلل القرنين 15و 16م، عندما انصبت الأبحاث حول الآثار الإغريقية والرومانية، وفي القرن 18م تم اكتشاف حضارات أقدم من الحضارة الإغريقية والرومانية، وبدأ يتوسع مجال البحث الثري خاصة بعد اكتشاف مراحل ما قبل التاريخ وما رافقها

من جدل حول أصل ظهور الإنسان والحيوانات المنقرضة، وتم إجراء العديد من الحفريات في كبريات المدن الثرية، مثل هرقولنومHERCULANUM وبومبي"POMPEI"، واتسع التنقيب بعدها لتشمل مناطق عديدة لبلاد الرافدين ومصر وغيرها.

وعلى الرغم من أهمية هذه التنقيبات التي كانت بمثابة الخطوات الأساسية لتطور علم الآثار، الا أنها لم تخلو من اخطاء كثيرة، فقد تعرضت المواقع التي أجريت فيها الحفريات إلى تخريب جوانب كثيرة منها، بسبب الاهتمام بالتحف الثمينة وإهمال غيرها من اللقى، التي اصبحت تعد في علم الآثار الحديث ذات أهمية بالغة لا تقل عن تلك التحف، حيث أصبح عالم الآثار ل يفرق بين تحفة من طين وتحفة من ذهب، وبين بقايا عظمية وأخرى فضية، وبين بقايا حجرية واخرى رخامية.

المحاضرة الثالثة

1- مجالات علم الآثار وميادينه:

يدرس علم الآثار البقايا والمخلفات المادية للإنسان، من هياكل عظمية وعمائر وصناعات على اختلاف أنواعها، وفضلا عن ذلك فهو يهتم أيضا بدراسة المحيط الذي كان يعيش فيه الانسان، وما يرتبط به من ظواهر طبيعية، كالزلازل والبراكين والفيضانات والمناخ والتضاريس، باعتبار أن لها تأثير مباشر في حياة الانسان واستقراره، ومن ثم من الضروري دراستها، ونفس الشيء بالنسبة للثروة النباتية والحيوانية التي ألفها الانسان واستأنسها.

ومن ثم لا يمكن حصر مجال علم الآثار في دراسة البقايا الصناعية والفنية والعظمية للإنسان، بل لابد من توسيع أفقه ليشمل الانسان ومخلفاته والبيئة التي عاش فيها، ليتعرف في الأخير ومن كل ذلك على مختلف جوانب حضارته الاقتصادية والسياسية والثقافية والاجتماعية...

ومن ناحية اخرى، فان المجال التاريخي لعلم الآثار لا يمكن حصره بفترة زمنية محدودة، كما كان سائدا، اذ حسب بعض الآراء يبدأ مجال علم الآثار من بداية ظهور الانسان وصناعته أول اداة إلى غاية القرن 18م، لكن في الحقيقة لا يمكن تحديده بفترة معينة، لأن الحياة متواصلة، وكلما استمرت توسع مجال البحث الأثري، حتى إذا أردنا ان نعرف الأثر فان بعض القوانين والشرائع لا تحدد فترة زمنية معينة ينبغي أن يجتازها الأثر ليصبح أثرا، وانما هو كل ما خلفه الإنسان وله قيمة تاريخية وسياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية وفنية.

2- فروع واختصاصات علم الآثار:

يقسم علم الآثار عادة الى مجموعة من الفروع والأقسام، وهي تختلف من منطقة الى أخرى، حسب الفترات التاريخية والحضارات التي عرفتها، وفي الغالب لا نجد مجال للآثار الإسلامية في الدول التي لم تشملها الحضارة الإسلامية، كما ان الآثار الإغريقية والرومانية تعد فرعا قائما بذاته بالنسبة لمناطق، وفي مصر أيضا تعتبر الآثار الفرعونية فرعا، بينما في الجزائر هناك فروع معتمدة وتدرس على أساس انها تخصصات مستقلة عن بعضها البعض، نذكرها فيما يلي:

أ- آثار ما قبل التاريخ:

وهو يهتم بدراسة الآثار العائدة الى بداية ظهور الانسان وإلى غاية ظهور الكتابة.

ب- الآثار القديمة:

في هذا الفرع يتم دراسة آثار الحضارات القديمة بداية من الحضارة الفرعونية، بلاد الرافدين والحضارة الإغريقية ثم الرومانية والساسانية، بالإضافة الى باقي الحضارات الأخرى في مختلف انحاء العالم.

ج- **الآثار الإسلامية:**

يدرس هذا الاختصاص مختلف الآثار التي خلفها المسلمون، منذ ظهور الإسلام الى غاية نهاية الخلافة الإسلامية العثمانية، وأحيانا تقسم هذه الآثار الى فترتين فترة العصر الوسيط وفترة العصر الحديث، ويقابل هذا في أوربا العصر الوسيط ثم عصر النهضة او العصر الحديث.

بينما تدرس ضمن ما قبل التاريخ **آثار فجر التاريخ:** وهي المرحلة التي تفصل بين ما قبل التاريخ والفترات التاريخية، والتي فيها بدأت تظهر البوادر الأولى للكتابة، كما نظيف الى الفروع السابقة الصيانة والترميم، والذي يدرس كتخصص مستقل هو الخر، اضافة الى تخصص آخر حديث لم يدرس بعد في الجزائر، وهو **آثار ما تحت الماء:** L'Archéologie Sous-Marine، وهو يهتم بالآثار الغارقة في البحار والمحيطات والتي تحت الماء بصفة عامة.

المحاضرة الرابعة

العلوم المساعدة لعلم الآثار:

كثيرة هي العلوم التي تحتاج الى غيرها من التخصصات، وعلم الآثار هو الآخر يحتاج مساعدة علوم أخرى لتحقيق أهدافه، ومن تلك العلوم نذكر ما يلي:

علم الأركيوزولوجيا: وهو علم يهتم بتحديد ودراسة الحيوانات من خلال بقاياها العظمية المكتشفة أثناء التنقيبات الأثرية، وهو يقدم مساهمة كبيرة لعلم الآثار، إذ من خلال تحاليله ونتائجه يمكن التعرف على النظام الغذائي للانسان وبيئته الطبيعية، وما يتعلق بها من مناخ وغطاء نباتي، وجوانب من معتقداته الدينية، فهناك مناخ ملائم لحيوانات دون أخرى، ولنباتات دون أخرى، كما أن بعض المعتقدات تمنع أكل لحوم حيوانات دون أخرى، كلحم الأبقار في الهند والخنازير عند المسلمين.

علم المساحة: يفيد علم المساحة كثيرا في تسجيل الآثار، ودون تسجيل المكتشفات تكون حفرياتنا تخريبا، ولا تختلف عن أعمال الحفر التي كان يبحث أصحابها عن الكنوز الثمينة، وللتسجيل طرق عدة، أهمها وضع مخططات للمكتشفات المعمارية، وأماكن تواجد اللقى الأثرية والعثور عليها، ورسم خريطة يحدد عليها مكان الموقع بالنسبة لمحيطه الجغرافي، وما فيه من مدن أو مظاهر طبيعية أخرى.

علم اللغة: يستعين الأثري بهذا العلم في تحليل مضمون النقوش الكتابية، وفهم معاني كلماتها ومفرداتها، بل وأحيانا بإمكانه ان يؤرخها، فالمفردات التي استعملت في فترة ما قد تختفي في فترة أخرى وتحل محلها مفردات جديدة، كما أنه يمكن الاعتماد على نوع الخط في تاريخ النقيشة أو الوثيقة المخطوطة، فأنواع الخطوط في لغة من اللغات لم تظهر دفعة واحدة بل عبر مراحل، وقد وضعت في هذا الشأن معاجم عدة وفي لغات مختلفة تحدد نوع الخط وتاريخ ظهوره وشرح المفردات وتاريخ تداولها واختفائها.

علم الخطوط القديمة: يهتم هذا العلم بدراسة الكتابات والخطوط القديمة، كالخط المسماري عند الرافدين، والخط الهيروغليفي عند الفراعنة، واليوناني عند الإغريق، واللاتيني عند الرومان، والخط العربي في الحضارة الإسلامية، وتطور كل خط من هاته الخطوط عبر التاريخ، ودراسة هذا الجانب مهم في البحث الأثري، سواء في التأريخ كما هو الحال في علم اللغة، أو في تفسير المعاني والرموز، اضافة الى اهتمامه بدراسة المواد المستعملة في الكتابة، كالألواح والجلود والأوراق على اختلاف أنواعها.

علم الاتنولوجيا: يعد هذا العلم أحد فروع علم الانتروبولوجيا، وهو يقوم على الدراسة المقارنة للثقافات المعاصرة، لاستخلاص مفاهيم عامة يمكن تطبيقها على المجتمعات البشرية، وتكمن استفادة علم الآثار من هذا العلم في أن العادات والتقاليد وأساليب العيش قد تبقى حية عبر التاريخ عند شعب من الشعوب.

وما دام علم الاتنولوجيا يهتم بهذا الجانب عند الشعوب الحالية، فان الأثري قد يلجأ الى إجراء مقارنة بين الشعوب القديمة التي يبحث عنها والشعوب الحالية، وقد يعثر احيانا على لقى أثرية او منشآت لا يدرك وظيفتها أو كيفية صنعها، وبمقارنتها لمثيلتها الحالية فانه سيجد فيها تفسيرا لتساؤلاته.

علم الباليوايدافولوجيا: يهتم هذا العلم بمحاولة إعادة الحالة التي كانت عليها الأرض في العصور القديمة، استنادا لدراسة المستويات الأثرية العائدة لكل عصر من العصور، ولهذا النوع من الدراسات دور كبير في التعرف على الحالة والكيفية التي كان عليها سطح الأرض والتغييرات التي شهدها عبر التاريخ، فسطح الأرض معرض لتغييرات مختلفة، فقد يحدث أن تتحول المنطقة التي كانت في زمن ما خضراء إلى صحراء، وقد تتحول المنطقة الجافة الى بحيرة، وقد يتغير خط الساحل فتغمر مياه البحر مناطق كانت ساحلية يابسة.

علم الباليوكليماتولوجيا: يدرس هذا العلم الحالة التي كان عليها المناخ في العصور القديمة، انطلاقا من دراسة المستويات الأثرية التي ترجع لكل عصر من العصور، ولمعرفة المناخ أهمية كبيرة في الأبحاث الأثرية، فهو يفيد في التعرف على الثروة النباتية والحيوانية، ومنه التعرف على النظام الغذائي للإنسان.

علم البترولوجيا: يقوم هذا العلم بتحاليل فيزيائية وكيميائية على بنية الصخور للتعرف على المعادن والمناجم وتحديد مراكزها، وهذا النوع من الدراسات له دور بالغ في الدراسات الأثرية، فان حدث وان وجدت مواقع أثرية بالقرب من معدن أو منجم ما، فإنه يمكن ان يكون أهل المنطقة قد استغلوه ولربما كان من العوامل الرئيسية التي جعلتهم يستقرون بالقرب منه.

علم الجيولوجيا: أو علم الأرض، وهو يدرس كوكب الأرض والمواد المصنوعة منها، والعمليات التي تؤثر على هذه المواد ونواتجها وتاريخ الأرض، وأشكال الحياة عليها منذ نشأتها، وبيولوجية سكانها القدماء كما تدل عليهم الحفريات، ويقدم معلومات حول المعادن والمواقع الأكثر ثباتا حتى يقيم عليها منشآته السياسية، كما يعطي بعض المعلومات المسبقة عن المخاطر المحتملة المرتبطة بالقوى الناشئة عن حركية الأرض.

علم الجيومورفولوجيا: وهو علم شكل الأرض، يتناول الشكل العام للأرض، بدراسة طبيعية وتقسيم ووصف ونشأة وتطور الملامح التضاريسية الموجودة حاليا على سطح الأرض، وعلاقتها بما تحتها من صخور وتراكيب، وما مر بها من أحداث خلال الأزمنة الجيولوجية.

علم الجغرافيا: يدرس هذا العلم جميع جوانب سطح الأرض، وما يشمل من تقسيمات طبيعية وسياسية وتوزيع وتفريق المناطق والانسان عادة بالنسبة للظروف البيئية.

علم الخرائط: هو فن رسم اللوحات والخرائط والمصورات الجغرافية، والعلم الذي يقوم على اساسه هذا الفن، ويهتم علم الخرائط وجميع أو أغلب عمليات المساحة، خصوصا جمع القياسات المختلفة وتمثيلها على الخرائط، فالأثري في حاجة ماسة الى معرفة تضاريس المنطقة التي يبحث فيها والموارد الطبيعية المتوفرة فيها، من مياه وغابات ومعادن وصخور والطرق والمسالك القديمة، التي تفيد في إعادة تصور الشبكات التجارية والمواصلات التي كانت تربط المدن فيما بينها، والطرق الحديثة التي توصلنا الى المواقع الأثرية

علم الباليونتولوجيا: يتشابه هذا العلم مع علم الاتنولوجيا في نقاط كثيرة، وهو يهتم بإعادة تصور الحالة الاتنولوجية القديمة لمجتمع من المجتمعات، وكامل مظاهرها الصناعية والثقافية والدينية انطلاقا من المكتشفات الأثرية.

علم الانتروبولوجيا: وهو العلم الذي يهتم بدراسة الانسان سواء من الناحية الاجتماعية او الطبيعية، فمن الناحية الأولى يدرس مظاهر السلوك البشري للإنسان في المجتمعات خصوصا البدائية في الوقت الحاضر او في الماضي إن توفرت المعلومات الكافية، ويهدف من خلال هذه الدراسة الى معرفة البناء الاجتماعي عن طريق شرح وتحليل النظم الاجتماعية ووظائفها، أما من الناحية الثانية فهو يدرس بيولوجيا أو تاريخ الانسان من حيث نشأته ومكانته بين المملكة الحيوانية وتطوره وتوزيع خصائصه البشرية، ويهتم هذا العلم حاليا بالمجموعات الدموية او الزمر الدموية، والتشريح المقارن والوراثة.

علم الكيمياء: كثيرا ما يلجأ الأثري الى الكيمياء ليستعين بتحاليلها في تحديد تاريخ الهياكل العظمية، أو تاريخ اللقى الأثرية، وتحديد أسباب وعوامل تلف الآثار، وكيفية أو تراكيب المواد الخاصة بترميم كل نوع من الأثر.

علم الفيزياء: يفيد علم الفيزياء في الدراسات الأثرية في الكشف عن المواقع الأثرية.

علم المسكوكات: وهو علم يدرس النقود والعملات التي تعامل بها الناس على مر العصور، وتظهر أهمية هذا العلم أكثر في المعلومات التي عادة ما تنقش على النقود، وهي تكشف النقاب عن جوانب مختلفة من حياة الأمم والمجتمعات، حيث منها يمكن التعرف على الأحوال الاقتصادية وطرق المعاملات التجارية والأسعار، إضافة إلى الجانب السياسي، كالتسلسل التاريخي للحكام والأمراء الذين قادوا الدول، وأسمائهم وألقابهم وشعاراتهم السياسية والدينية.

وتزداد قيمة هذا العلم في أن النقود عبر التاريخ تعد وثيقة رسمية غير قابلة للتزييف أو التحريف، وقد كان العديد من النماذج منها وراء الفصل في قضايا تاريخية اختلف بشأنها المؤرخون وقضايا غفلوا عن ذكرها.

علم التاريخ: يعد علم التاريخ بمثابة العمود الفقري لعلم الآثار، فهو يمده بمعلومات جد هامة حول المدن والمعالم الأثرية المندثرة وغير المندثرة، فكم من مدينة أو معلم اندثر وانمحى أثره الى الأبد ولم نكن لنسمع به أو نعرف عنه شيئا لولا ما حفظته كتب التاريخ والرحالة والجغرافيين القدماء.

الهندسة المعمارية: هو علم يهتم بدراسة فنون الأبنية وهندسة المدن، فيما يتعلق بمخططاتها ودراسة ما خلفه الانسان من عمارة وفنون يجب ألا يتم بمعزل عن علم الهندسة المعمارية من حيث أساليب البناء وطرقه ومواده وتصميماته.

علم الطوبونيميا: أو علم أسماء الأماكن، إذ كثيرا ما تحمل أسماء بعض الأماكن قصة حول حدث أو واقعة ما، كما تحمل أسماء أخرى على معنى يدل على وجود آثار كالإطلاقات الموجودة عندنا بالجزائر مثل: الهنشير والخربة وحجر الجهالة والمسخوطين...

المحاضرة الخامسة

أ- مفهوم التنقيب الأثري:

يعتبر التنقيب عن الآثار أحد الوسائل الرئيسية وأبرزها في علم الآثار، والذي من خلاله يتم جمع اللقى والتحف الأثرية على اختلاف أنواعها وموادها، من أبنية وفخار ونقود وحلي وغيرها، ولقد تطور مفهوم التنقيب الأثري عبر مرحلتين، الأولى ساد فيها المفهوم القائل بان التنقيب هو عبارة عن مغامرة للبحث عن الكنوز الثمينة، للاتجار أ لتزيين قصور الحكام والأثرياء، ومن ثم كانت أعمال التنقيب لا تعبأ بإتلاف البقايا غير الثمينة، وقد شهدت أغلب المواقع الأثرية المنقب فيها خلال هذه المرحلة أتعس أيامها لما لحق بها من تخريب وتدمير.

غير أن هذا المفهوم تغير خلال المرحلة الثانية، وبدأ التنقيب يأخذ الصبغة العلمية الصحيحة، فأصبح يبحث عن كل المخلفات المادية للحضارات السابقة، لا يفرق بين إناء من الطين وإناء من الفضة أو الذهب، ولا يتوقف الباحث الأثري عند المصنوعات الطينية فحسب بل يجمع حتى العظام.

فقيمة المكتشفات حسب المفهوم الأول، كان يحددها الجانب المادي فيها، بينما في المفهوم الثاني اصبحت قيمة الأثر في قيمة ما يقدمه من معلومات تاريخية فنية وثقافية وسياسية وغيرها من المجالات.

ولما تغير مفهوم التنقيب الأثري، تغيرت معه الطرق والوسائل وظهرت المناهج التي تقنن وتؤسس لعمال الحفر، التي أصبح يشترط فيها أولا وقبل كل شيء ضمان سلامة الأثر، وضمان تسجيل كل المعلومات المتعلقة باكتشافه، من تاريخ وموقع والطبقة التي كان متموضعا فيها وتصويره ورسمه ووضع مخططات له، إضافة الى توفير الحماية والحفظ والصيانة الكاملة له، منذ اللحظات الأولى لاكتشافه، بل منذ الضربة الأولى بالفأس في الموقع إلى ان ينقل الى العرض أو المخزن في المتحف.

ب- أهداف التنقيب الأثري:

1-انقاذ الآثار: تهدف بعض الأعمال التنقيبية الى إنقاذ الآثار التي تكون معرضة للأخطار من جراء بعض المشاريع التي تبرمج في محيطها، كأن تشق الطرق أو تحفر القنوات أو تبنى الدور والمساكن أو تشيد السدود وغيرها.

2-حماية الآثار: تهدف مختلف التنقيبات إلى حماية الآثار، فالأخطار التي تتعرض لها البقايا الأثرية المتواجدة في باطن الأرض لا تقل عن تلك التي تتعرض لها الآثار الموجودة فوق سطح الأرض، فلربما يمكن التحكم في

حماية هذه الأخيرة، بينما تبقى الأولى تموت موتا بطيئا ويجد الانسان نفسه عاجزا عن حمايتها وهي في تلك الحالة دون التنقيب عنها وإخراجها.

3-دراسة الآثار: تعد المكتشفات الثرية مخلفات مادية لحضارة من الحضارات ونتاج مجتمع من المجتمعات صنعها واستعملها في مختلف الأغراض، والأثري لما ينقب عنها ويدرسها لما لها من صلة وعلاقة بالإنسان، فهي مرآة عاكسة له ومنها يمكن التعرف على قدرته الصناعية وذوقه الفني ومستواه الحضاري والاقتصادي وأفكاره ومعتقداته، فالمنقب لما يحفر فهو يبحث عن الانسان عبر مختلف العصور، والكشف عن تاريخه ومساره الحضاري انطلاقا من المخلفات والبقايا الأثرية.

4-تكوين الطلبة: تتألف العديد من فرق التنقيب من الطلبة، فهم من جهة يد عاملة متخصصة لا يخشى منها شيء على المكتشفات، ويكفي أن يكون معها مراقب وموجه له خبرة مسبقة، ومن جهة أخرى لتدريبهم وتكوينهم على أعمال الحفر وطرق تنفيذه لإكسابهم الخبرة الكافية وتأهيلهم لقيادة أعمال تنقيب مستقلة في مواقع أثرية مختلفة.

المحاضرة السادسة

عوامل اندثار المباني وتشكل المواقع الأثرية:

1-العوامل الطبيعية: تلعب العوامل الطبيعية الدور الكبير في اندثار المباني واختفائها، كالفيضانات والزلازل والبراكين والأعاصير والرياح والزوابع المحملة بالرمال، التي تترسب وتتراكم فوق المعالم الثرية إلى ان تغطيها كاملة او جزئيا، كما هو الحال بالنسبة لآثار مدينة سدراتة بورقلة التي غزتها الرمال، فأصبح ل يرى الا القليل من الأجزاء التي تم كشفها على إثر الحفريات التي أجريت فيها.

كما ان في فيضان النهار خطر على المدن التي اقيمت على ضفافها، وقد يتغير مجراها فتغمر مياهها المدن التي امامها، وتهجر المدن التي كانت مقامة على ضفافها في المجرى الأول، ونفس الحال بالنسبة للمدن والمباني التي تقام على شواطئ البحار، فهذه الأخيرة قد يرتفع مستوى مياهها بسبب المد والجزر والأعاصير والزلازل والبراكين، فتختفي المدن الساحلية وتغور الجزر.

2-العوامل البشرية : لتقل العوامل البشرية خطورة عن العوامل الطبيعية، فهي تساهم مساهمة كبيرة في خراب المدن واندثار معالمها، فقد يلجأ الانسان الى بقايا مباني قديمة فيقتلع احجارها واعمدتها، ليعيد استعمالها في بناء مدنه الجديدة، وقد يختار مواقع تلك المدن فيهيئها ليشيد فوقها مبانيه، وقد حدث هذا اكثر من مرة، فمدينة تروادة تقوم على انقاض تسع مدن متراكبة فوق بعضها البعض.

كما ان الانسان يلجأ أحيانا الى إعادة بناء بعض المعالم الدينية كالمعابد والمساجد، وتجديدها لقداسة موقعها كجامع القيروان الذي جدد في عهد الأغالبة كلية ما عدا المحراب الذي احتفظ به والاكتفاء بتكسيته بالألواح الرخامية والبلاطات الخزفية، تيمنا ببناء الصحابي الفاتح عقبة بن نافع الفهري.

3-العوامل الاقتصادية:

لقد دأب الانسان منذ القدم على اختيار مواقع للاستقرار وبناء المدن فيها، لما توفره له من موارد طبيعية مختلفة تساعده في نمو اقتصاده وتطويره، غير انه قد تتغير الظروف وتنقطع الموارد فيهجر الانسان المكان ويرحل الى مكان اخر، فقد تبنى مدينة على ضفاف نهر ثم يغير النهر مجراه فيؤثر هذا سلبا على اقتصاد المدينة ويدفع اهلها لهجرانها، وقد ينتشر فيها وباء خطير او يطالها الجفاف والقحط فتنتشر المجاعة والفقر، ومن ثم يضطر اهلها الى الرحيل عنها للبحث عن الرزق في اماكن اخرى.

4-العوامل السياسية : للعوامل السياسية هي الأخرى دور كبير في خراب المدن واندثارها نتيجة الحروب، فكثيرا ما يتحصن الانسان داخل اسوار مدنه وقلعه وحصونه، فيضطر العدو المهاجم الى ضرب الاسوار

ودكها وقد يهدمها ويحرقها بعد فتحها، ويقتل اهلها ويجليهم عنها، وأحيانا يبني الحكام مدينة ويتخذونها عاصمة بدلا من العاصمة الاولى، فيهجرها الناس الى العاصمة الجديدة، كما حدث لقلعة بني حماد لما بنيت مدينة بجاية الناصرية، وانتقال الأمراء الحماديين اليها، فخربت القلعة وهجرها اهلها، بينما عمرت بجاية وزاد ساكنوها.

المحاضرة السادسة

المسح الاثري وأساليب الكشف عن الآثار

1- المسح الاثري:

أ- تعريف المسح الأثري:

يقصد بالمسح الاثري ذلك المجهود الذي يبذله المختصون في الآثار، لتحديد المواقع والمعالم الاثرية وجردها وحصر آفاقها وحيزها، ووصف مخلفاتها وبقاياها المادية التي تظهر فوق سطح الارض، كالعناصر المعمارية والجدران والمباني، واللقى الاثرية كالفخاريات والمعدنيات والزجاجيات وغيرها، بالاستعانة بالخرائط الطبوغرافية والصور الجوية، والوسائل والطرق العلمية المستخدمة في الكشف عن المواقع الاثرية، ***دون القيام بأسبار أو أعمال حفر***.

ب- أهمية المسح الاثري:

كان المسح الاثري في بداية الأمر لا يعدو ان يكون مجرد إجراء أولي يسبق الحفرية، يحدد عن طريقه حيزها وإطارها، غير انه مع مرور الوقت أصبح المسح الاثري هدفا مقصودا، وتخصصا قائما بذاته كغيره من التخصصات التي يتضمنها علم الآثار، ويفضله الكثير من الأثريين على الحفرية، لسهولة وسرعة انجازه وقلة تكاليفه، مقارنة بالحفرية التي تتطلب إمكانيات كبيرة، ووقت طويل قد تستغرق سنوات عدة.

فالمسح الاثري فضلا عن ذلك يجعل نظرة الباحث الاثري واسعة وشاملة، ويسمح بتكوين طلبة في مختلف أنواع المعالم والبقايا الاثرية وفترات تاريخية متعددة، عكس الحفرية التي تهتم بموقع واحد ودراسة بقاياه المكتشفة معزولة عن محيطها الاثري، وهذا لا يعني أن الحفرية غير مهمة بل هما متكاملان، ولكن المسح يكسب الباحث الاثري معلومات كافية في بعض الاحيان عن مواقع كثيرة.

ومن خلال التحاليل التي يجريها على ما جمعه من لقى، وربط العلاقة بينها ومقارنتها ببعضها البعض، يتعرف على مختلف الجوانب الخاصة بأصحابها، حيث بإمكانه التعرف على المراحل التاريخية التي عرفتها المنطقة

الممسوحة، وتطور الاستيطان البشري بها، والحركة العمرانية المصاحبة له، وظروف تطورها او انحصارها، وتوزيعها الجغرافي، والعوامل المتحكمة فيها، وبإمكانه أيضا استجلاء المظاهر الاقتصادية والتجارية والعلاقات الاجتماعية بين التجمعات السكانية داخل المنطقة الممسوحة وخارجها.

كما ان للمسح الثري مساهمة فعالة في حماية المعالم والمواقع الاثرية، فبتحديده وحصره لها يسهل عملية وضع برامج لتأهيلها وتنميتها وقد ينقذها من برامج كانت ستدمرها، وقد تندثر وتتهدم بعض المعالم فتبقى الصور الملتقطة أثناء المسح شاهدا لها، وكم من أثر زال ولم يبق مما يعرفنا به إلا الصور والمخططات والخرائط التي أنجزت حوله.

ت– متطلبات المسح الثري:

1– بعثة المسح الاثري :

يتطلب المسح الاثري تضافر جهود رجال من مختلف التخصصات، على رأسهم عالم في الآثار متخصص في المسح الاثري، له خبرة في الدراسات الميدانية والمسوحات الاثرية والتحكم في الاجهزة، والوسائل المستعملة في الكشف عن الآثار وتحديدها، وإليه توكل مسؤولية تسيير البعثة وتوجيه أعضائها كل حسب اختصاصه، ومراقبة سير العملية من بدايتها إلى نهايتها، وإصدار النتائج والتقرير.

وما دام المسح الاثري يشمل كل المواقع والمعالم الاثرية التي ترجع الى فترات تاريخية مختلفة، فانه يجب ان تضم بعثة المسح باحثين أثريين في كل التخصصات، كتخصص آثار ما قبل التاريخ والآثار القديمة والآثار الاسلامية والصيانة والترميم، بالإضافة الى متخصصين في علم الكتابات الاثرية واللغات القديمة وعلم المسكوكات وغيرها.

كما يجب ان ي رافق هؤلاء ا لباحثين الاثريين علماء متخصصون في علوم مساعدة لعلم الآثار، كعلم الجيولوجيا الذي يقوم المختص فيه بتحديد أماكن تواجد المعادن وطبيعتها وأنواع التربة والحجارة وخصائصها، ونفس الحال بالنسبة للطبوغرافيا حيث يجب ان يرافق البعثة متخصص فيها، ليحدد المواقع الاثرية على الخريطة ورسم خرائط لها وفق مقاسات مختلفة صغيرة وكبيرة، فضلا عن تفسيره للخرائط الطبوغرافية والصور الجوية.

الهندسة المعمارية هي الاخرى مطلوبة في المسح الثري، خاصة في حالة مسح موقع أثرى كبير، او مسح منطقة حضرية تحتوي على معالم اثرية كبيرة، حيث في مثل هذه الحالات يجب ان تضم البعثة عددا كافيا من المهندسين، للقيام بوضع مخططات لكل المعالم وتحديد مقاساتها وأشكالها، وقد تكتفي البعثة بمهندس معماري واحد في المناطق التي ل تكون المعالم الثرية فيها كثيرة، وإذا كان فيهم من الاثريين من يتقن عملية الرفع المعماري، فانه بإمكان البعثة ان تستغني عن المهندس المعماري. ويجب ان يرافق البعثة كيميائي تسند

إليه مهمة معالجة التحف واللقى المعثور عليها أثناء عملية المسح، وتنظيفها من الشوائب لحمايتها وصيانتها، وتحديد تاريخها.

والى جانب الكيميائي تستعين البعثة بالرسام في التفريغ الزخرفي، ونسخ الصور والرسومات التي تتزين بها المعالم او التحف الثرية. كما ان البعثة يجب أن تزود بمصور ماهر ومحترف، يتميز بقدرة عالية في اختيار الوقت والجهة المناسبة للالتقاط الصور وطرق تحميضها، التي يجب ان تتم في مخبر يكون بحوزة البعثة وتحت تصرفها، لإخراج الصور في الحال والتأكد من سلمتها.

وبالضافة إلى ما سبق، يجب أن تضم البعثة أفرادا آخرين كسائقي السيارات، ودليل يفضل ان يكون من أبناء المنطقة الممسوحة، يستبدل كلما انتقلت البعثة إلى منطقة جديدة.

2- وسائل المسح الاثري :

يحتاج المسح الاثري إلى مجموعة من الوسائل، تأتي في مقدمتها الخرائط على اختلاف أنواعها، الجغرافية، الجيولوجية، والطبوغرافية والصور الجوية، فبهذه الخرائط والصور تتعرف البعثة على طبيعة المنطقة جبلية او سهلية، مرتفعة او منخفضة، الطرق والمسالك وغيرها من الظواهر الطبيعية، ويساعد هذا في تنظيم عملية المسح وتسهيلها، كما تفيد الصور الجوية وقد سبقت الاشارة إليها في أنها تظهر الكثير من المواقع المطمورة تحت الرض، وهي من الوسائل الهامة التي تستعمل في الكشف عن الآثار.

وبالضافة إلى الخرائط والصور، يحتاج الماسح الى أجهزة تصوير فوتوغرافي وكاميرات، ومخبر لتحميض الصور والتأكد من سلمتها وجودتها، وأجهزة لقياس الطوال والارتفاعات، كجهاز التيودوليت وأشرطة مترية بعشرين مترا او أكثر وأخرى صلبة بمترين، واجهزة الكتابة والرسم كالوراق الملمترية واوراق الكتابة والقلم والمساطر ومقص وعلب ارشيف لحفظ الملفات. كما يجب ان تزود البعثة بأدوات تهيئة قد تحتاجها في نزع الاعشاب التي تنمو فوق الآثار وتغطيها لتظهر في الصورة واضحة كالمسطرين وفأس وفرشاة، دون ان ننسى وسائل نقل ملائمة لطبيعة المنطقة تخصص لأفراد البعثة وتكون تحت تصرفهم.

المحاضرة السابعة

أ- انواع المسح الاثري:

1- المسح الشامل:

يعد المسح الشامل أحدث انواع المسح الأثري، وهو يهدف الى مسح كل اجزاء المنطقة مرتفعاتها ومنخفضاتها سهولها ووديانها، وتحديد المواقع الاثرية الظاهرة والمطمورة، بالوسائل والطرق العلمية المستخدمة في الكشف عن الآثار، مهما كان نوع الآثار وفتراتها التاريخية، شظايا ادوات حجرية وفخار وعناصر معمارية وقبور وكهوف واسوار ومباني.

2- المسح الاختياري:

او المسح الجزئي، وهو كما يظهر من عنوانه اختيار اماكن معينة ومحددة حسب الاهداف المنشودة من عملية المسح، فاذا كنا نهدف الى الحصول على معلومات عن فترة تاريخية معينة، فإننا نقوم بمسح المواقع التي ترجع اليها دون غيرها من المواقع، وإذا كانت دراستنا تهدف الى التعرف على نوع من المنشآت او المعالم الثرية كالطرق او المدافن او الرسوم الجدارية ضمن نطاق جغرافي محدد فإننا سنهمل المعالم الأخرى.

كما انه يمكن ان نقوم بعملية مسح بغية معرفة تاريخ منطقة معينة واهم شواهدها ومعالمها الاثرية، وفي هذه الدراسة سنركز على المواقع الكبيرة وذات الاهمية البالغة في حين نغفل المواقع الصغيرة، وفي جميع هذه الحالات تكون عملية المسح الاختياري قليلة التكاليف وسريعة الانجاز، عكس المسح الشامل الذي يتطلب جهدا ووقتا كبيرين.

3- المسح الانقاذي:

يتم هذا المسح في المناطق التي ستقام فيها مشاريع كبرى كالسدود وشق الطرقات الرئيسية والوطنية والمؤسسات الصناعية الهامة التي تستدعي الضرورة الى انجازها في منطقة محددة، ويصبح دور المسح في مثل هذه المناطق انقاذ ما يمكن انقاذه من الآثار والمعلومات المهددة بالزوال والاندثار، ويجب ان يتم بسرعة وبطريقة دقيقة وشاملة، حتى تتبعه حفريات إنقاذية هي الأخرى، ويجب ان تسجل كل المواقع كبيرها وصغيرها، ومن أي فترة تاريخية كانت، بالصور والمخططات والخرائط والاشكال والوصف ومختلف المعطيات المتعلقة بها التاريخية والجغرافية والاثرية.

ب- منهج المسح الأثري:

يختلف منهج المسح الاثري حسب طبيعة كل منطقة، فالمسح في المناطق الحضرية ليس كالمسح في المناطق الريفية او الساحلية او البحرية، فلكل منطقة خصوصياتها يجب ان تراعى، فالمسح في المناطق الحضرية كالمدن والقرى والتجمعات السكنية امر صعب، ذلك ان ارضيتها ستغطي ارضيات المخلفات القديمة لها، ولن يبق الشيء الكثير من تلك المخلفات ظاهرا كما هو الحال في المناطق الريفية، ومن ثم نجد أنفسنا نبحث عن آثار مطمورة فوقها بنايات حديثة ومستغلة، ومعالم اثرية ظاهرة.

فأما في الحالة الاولى فإنها تتطلب منا البحث في المصادر التاريخية والجغرافية التي تعرضت لتاريخ المنطقة، وقد نجد في التربة التي يتم اخراجها من جراء اشغال الحفر المختلفة كالآبار والقنوات وغيرها ما يستعان به في التعرف على طبيعة الآثار المدفونة، وقد نجد بين تلك التربة بقايا فخارية او نقود أثرية.

اما في الحالة الثانية فانه يتوجب التجوال الدقيق لكامل اجزاء المدينة والسير في جميع دروبها، وبهذه الطريقة يمكن التمييز بين المعالم الاثرية والمباني الحديثة، ويمكن التمييز حتى بين ترميم الاجزاء القديمة منها واعادة استعمالها، وهنا يجب التنبيه انه قد يعيد الانسان استعمال مواد بناء جلبها من مكان آخر، وتوجد امثلة عديدة عن هذه الحالة في الجامع الاموي بدمشق وجامع القيروان وجامع قرطبة، حيث استعملت فيهم اعمدة قديمة رومانية وبيزنطية.

وفي الجزائر امثلة كثيرة لهذه الظاهرة منها جسر باب القنطرة الذي اعاد تشييده صالح باي بحجارة جلبها من معالم أثرية قديمة وفي مدينة خميستي بولاية تسمسيلت توجد عدة مباني تضم في جدرانها احجار رومانية مجلوبة من معسكر كولماطة الذي شيد ضمن خط الليمس.

وإذا كان المسح في المناطق الحضرية صعبا فانه في المناطق الريفية سهل الى حدا ما، ذلك ان مواقعا اثرية كثيرة في مثل هذه المناطق تكون بارزة الى العيان، وعادة ما تكثر شقف الفخار فوق سطحها، او تظهر منها بعض الاجزاء كالأسوار او الاعمدة، وغالبا ما تتموضع آثار المدن في شكل تلل يكبر حجمها ويصغر حسب كبر المدينة او صغره.

اما إذا كانت المعالم الاثرية غير واضحة فيمكن ان تكون مدفونة على عمق كبير نتيجة لتراكم كميات كبيرة من الرواسب والطمي، وفي هذه الحالة يجب علينا ان ن ستعمل الطرق العلمية في الكشف عنها، كالطرق

الجيوفيزيائية والكيميائية وغيرها. وفي المناطق الساحلية او المائية تزداد عملية المسح صعوبة وتعقيدا، وهي تتطلب الاستعانة بخبراء في هذا المجال، كعلماء البحر والغواصين والصيادين، واستعمال الاجهزة والوسائل التي ذكرناها سابقا كأجهزة التصوير الفوتوغرافي وغيرها.

غير انه وبالرغم من هذه الاختلافات الناتجة عن عدة معطيات، الا انها تشترك في ا لكثير من النقاط والمبادئ الاساسية التي نجملها فيما يلي:

1– الدراسة التحضيرية:

ا– تحديد المنطقة:

نقصد بتحديد المنطقة ذلك الاقليم المزمع اجراء عملية المسح الاثري فيه، وتخضع هذه العملية الى عدة اعتبارات، فقد ترغب الدولة في التعرف على تاريخها، او لوضع برامج تنموية لحماية المواقع والمعالم الاثرية وترقيتها، وقد تختار اماكن معينة لأسباب مختلفة كأن تكون آثارها ترجع الى فترة تاريخية واحدة، او تبرمج الدولة مشاريع كبرى كشق الطرق او بناء سد في منطقة ما، فتضطر الى برمجة عملية مسح انقاذي فيها قبل البدء في الاشغال.

ب– جمع المعلومات:

تجمع المعلومات حول المنطقة المعنية بالمسح من المصادر التاريخية والجغرافية التي تعرضت لتاريخها او وصفها عبر مختلف الفترات والعصور، والدراسات الحديثة التي اقيمت حولها، والحفريات التي اجريت فيها، ونشرت نتائجها في دوريات علمية او في شكل تقارير خاصة، ويفيدنا البحث البيبليوغرافي في جمع معلومات جد هامة تاريخية واثرية ومعرفة اسماء المدن والماكن القديمة والحديثة، وفي الجزائر توجد اسماء بعض الاماكن تشير الى ان المنطقة اثرية مثل كلمة "خربة" وهي مستعملة كثيرا، ومن الامثلة على ذلك خربة اولاد بوزيان بسيدي الحسني ولاية تيارت فهذه المنطقة تحوي خرائب رومانية لازالت بقاياها ماثلة الى اليوم.

ولمعرفة الجانب الجغرافي والجيولوجي للمنطقة ن ستعين بالخرائط ا لجيولوجية والطبوغرافية والصور الجوية، ولهذه الاخيرة فائدة كبيرة في الكشف عن المواقع الاثرية المطمورة وتحديد حيزها ومخططها.

كما تعتبر معلومات اهل المنطقة من اهم المصادر التي لا يمكننا الاستغناء عنها، ويحدث كثيرا ان يكتشف اهل المنطقة اثارا اثناء قيامهم بأشغال الحفر المختلفة، ويعثرون على تحف ينقلونها من مواقعها الاصلية الى مقر سكناهم او الى اماكن اخرى، وقد تكون لديهم معلومات حول مواقع كانت واضحة معالمها وظاهرة ثم بعد مدة ولعوامل طبيعية او بشرية اختفت.